الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

يقول الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - يقول في كتابه "القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن" في القاعدة الثالثة:

وأعظم ما تُعتبر به هذه القاعدة في الأسماء الحسنى فإن في القرآن منها شيء كثير وهي أجل علوم القرآن فمثلا: يخبر الله عن نفسه أنه الله ، وأنه الملك والعليم والحكيم والعزيز والرحيم والقدوس السلام والحميد المجيد .

فالله هو الذي له جميع معاني الألوهية التي يستحق أن يؤله لأجلها، وهي صفات الكمال كلها والمحامد كلها والفضل كله والإحسان كله،

وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الألوهية لا بشر ولا ملك بل هم جميعا متألِّهون متعبدون لربهم خاضعون لجلاله وعظمته .

وأنه الملك الذي له جميع معاني الـمُلك؛ وهو الـمُلك الكامل والتصرف النافذ وأن الخلق كلهم مماليك لله عبيد تحت أحكام ملكه القدرية والشرعية والجزائية

وأنه العليم بكل شيء الذي لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء الذي أحاط علمه بالبواطن والظواهر والخفيات والجليات والواجبات والمستحيلات والجائزات والأمور السابقة واللاحقة والعالم العلوي والسفلي والكليات والجزئيات وما يعلم الخلق وما لا يعلمون.

وأنه الحكيم الذي له الحكمة التامة الشاملة لجميع ما قضاه وقدره وخلقه وجميع ما شرعه لا يخرج عن حكمته مخلوق ولا مشروع ،

وأنه العزيز الذي له جميع معاني العزة علي وجه الكمال التام من كل وجه ؛ عزة القوة وعزة الامتناع وعزة القهر والغلبة، وأن جميع الخلق في غاية الذل ونهاية الفقر ومنتهي الحاجة والضرورة الى ربهم.

وأنه الرحيم الذي له جميع معاني الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء ، ولم يخلُ مخلوق من إحسانه طرفة عين ووصلت رحمته حيث وصل علمه:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]،

وأنه القدوس السلام المعظم المنزه عن كل عيب وآفة ونقص وعن مماثلة أحد وعن أن يكون له ند من خلقه... وهكذا بقية الأسماء الحسنى اعتبِرْها بهذه القاعدة الجليلة ينفتح لك باب عظيم من أبواب معرفة الله؛ بل أصل معرفة الله تعالى معرفة ما تحتوي عليه أسماؤه الحسنى من المعاني العظيمة بحسب ما يقدر عليه العبد وإلا فلا يبلغ علم أحد من الخلق ولا يحصي أحد ثناء عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ،أما بعد:

فلا يزال الكلام ماضياً عند المصنف - رحمه الله تعالى - ببيان **القاعدة الثالثة:**

وهي الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الإستغراق بحسب ما دخلت عليه "ال" يقال لها المعرفة، "ال" التعريف، ويقال:"ال" المعرفة،، وهي إذا دخلت على الإسم إما: يكون دخولها مفيداً للعهد، أو الجنس، أو الإستغراق، فهي لهذه الأغراض الثلاثة،

- إما تدخل على الإسم فتكون مفيدة العهد إما الذكر أو الذهن أو الحضور
- أو تكون مفيدة الجنس يقال لها ال الجنسية
- أو تفيد الإستغراق

وهنا في هذه القاعدة يبين - رحمه الله تعالى - أنها إذا دخلت على الأوصاف وأسماء الأجناس أفادت **الإستغراق** ومثّل لذلك - رحمه الله تعالى - ببعض الأمثلة ثم قال: أعظم ما تعتبر به هذه القاعدة في الأسماء الحسنى أي أسماء الله - جل وعلا - الحسنى وأسماء الله - تبارك وتعالى - كلها حسنى وكل اسم يسبقه الألف واللام [**الله ، الرحمن ، الرحيم ، العزيز ، الحكيم** ، إلى آخر ذلك] ودخول ال هنا يفيد الإستغراق - كما وضح الشيخ ذلك - رحمه الله تعالى - بمعنى أن أسماء الله - تبارك وتعالى - أعلام وأوصاف، ليست أعلاما صرفة أو أسماء جامدة لا تدل على معاني بل هي أعلام وأوصاف ، وكل اسم منها دال على ثبوت صفات كمال عظيمة لله - سبحانه وتعالى - وال تفيد استغراق الإسم الذي دخلت عليه لمعاني الكمال التي يقتضيها ذلك الإسم ، وذلك في كل اسم بحسب ما يقتضيه من معاني الكمال وصفات الجلال لله - سبحانه وتعالى - ، وهذه كما نبه الشيخ - رحمه الله تعالى - :

قاعدة عظيمة جدا في فقه الأسماء وأيضا في الرد على المخالفين من أهل الضلال والباطل ، فهي مفيدة فائدة عظيمة في هذا الباب؛ لأنها تعد جانب من فقه أسماء الله – تبارك وتعالى – فـال الداخلة على الأسماء الحسنى تفيد الإستغراق وهي في كل اسم بحسب ما يدل عليه وما يقتضيه من صفات الكمال ونعوت الجلال التي يختص بها الرب الكريم – سبحانه وتعالى – ، وهذا مندرج في كل أسماء الله – تبارك وتعالى – ما من اسم من أسماء الله – جل وعلا – إلا وهو دال على ثبوت صفات الكمال لله – جل وعلا – واختصاصه – سبحانه وتعالى – بها وأنه له من كل كمال أعلاه وأرفعه ضرب الشيخ – رحمه الله تعالى – على ذلك بعض الأمثلة التوضيحية فذكر أولا اسم الله – سبحانه وتعالى – [الله] ، قال : [فالله] وهو الذي له جميع معاني الألوهية

و(ال) في الله : تفيد الإستغراق لكل معاني الألوهية ،ومعاني الألوهية هي الصفات الكمال والجلال والعظمة التي استحق بها – سبحانه وتعالى – أن يؤله وأن يخضع له ويذل، ولهذا قال ابن عباس – رضي الله عنهما – في معنى هذا الإسم قال:

الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين

فهذا الإسم يدل على ألوهية الله ويدل على ثبوت جميع معاني الألوهية لله – سبحانه وتعالى – من الكبرياء والعظمة والجلال والإحسان إلى غير ذلك بل جميع صفات الله – سبحانه وتعالى – هي من ألوهيته، ولهذا عد بعض أهل العلم اسم الله أنه (اسمه الأعظم) ؛ لأن جميع الأسماء الحسنى راجعة إلى هذا الإسم، ولهذا تجد في القرآن يقال ﴿هُوَ اللهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ عالِمُ الغَيبِ ﴾ [الحشر: ٢٢]

﴿هُوَ اللهُ الَّذي لا إِلهَ إِلّا هُوَ المَلِكُ القُدّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣]

تضاف الأسماء إليه فيقال : **الله هو الرحمن الرحيم الخالق الرازق**

ولا يقال : الخالق هو الله الرحمن الرحيم

ولهذا كان هذا الإسم مختصا بخصائص تفرد بها عن بقية الأسماء ولهذا ذكروا أيضا من خصائصه أن [ال] الداخلة على هذا الإسم على الله لا تفارقه حتى في النداء عندما ينادى بهذا الإسم يقال يا الله لا تحذف ال التعريف بينما بقية الأسماء لا تقول يا الرحمن أو يا الرزاق وإنما تحذف ويقال : " **يا رزاق ، يا رحمن ، يا عظيم** " إلا هذا الإسم اختص بأنه عندما ينادى الرب – تبارك وتعالى – به فإنه لا تحذف منه ال التي في أوله وهذا الإسم دال عَلَىٰ ثبوت معاني الأُلوهية لله – تبارك وتعالى –ٰ واختصاصه – جل وعلا – بذلك وأنه – جل وعلا – المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

ودال أيضاً من جانب آخر على ما ينبغي أن يكون عليه العباد من ذل له وخضوع وانكسار وخشوع ولهذا قال ابن عباس : الله ذو الألوهية وذو العبودية

الألوهية صفة الله

والعبودية صفة العبد التي يقتضيها هذا الإسم ،

قال: وأنه الملك

وهذا اسم من أسماء الله – تبارك وتعالى – وال الداخلة عليه تفيد الإستغراق ، وذلك بأن جميع معاني الملك ثابتة لله – سبحانه وتعالى – جميع معاني الملك ثابتة لله، وأنه وحده المتصرف في الخلق المدبر لمملكته – سبحانه وتعالى – كما يشاء لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه يهب لمن يشاء ويمنع من يشاء يعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ ﴾ [ال عمران : ٢٦]

هذه كلها (تهب، تعز ،تعطي، تمنع) كلها من معاني الملك

ومن معاني الملك :أن عبيده تحت أحكامه سبحانه أحكامه الكونية وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية، لا خروج لأحد عن حكمه – سبحانه وتعالى – فهذا كله من معاني ملكه سبحانه

فإذن لما نقول الملك اسم من أسماء الله نثبت من خلال هذا الإسم جميع معاني الملك لله – سبحانه وتعالى – ؛ لأن (ال) الداخلة على هذا الإسم تدل على استغراق هذا الإسم لجميع المعاني الملك وثبوتها لله – سبحانه وتعالى – على الوجه اللائق بجلاله وكماله ،وهكذا القول في العليم والحكيم والعزيز والرحيم والقدوس والسلام وجميع أسماء الله – جل وعلا – القول فيها أن نثبتها لله – سبحانه وتعالى – ونثبت ما دلت عليه من المعاني والصفات على الوجه اللائق بجلاله وكماله ، ولهذا قال أهل العلم: **أسماء الله أعلام وأوصاف**

أعلام: باعتبار دلالتها على الله

وأوصاف: باعتبار دلالتها على المعاني؛ لأن كل اسم من أسماء الله دال على معانٍ وصفات يجب أن تثبت لله على الوجه اللائق بجلال الله وكمال وعظمته سبحانه ، قال: وهكذا بقية الأسماء الحسنى اعتبرها بهذه القاعدة الجليلة ينفتح لك باب عظيم من أبواب معرفة الله بل أصل معرفة الله تعالى معرفة ما تحتوي عليه أسماءه الحسنىٰ من المعاني العظيمة بحسب ما يقدر عليه العبد

والعبد يقدر على ما أقدره الله عليه من ذلك وإلا الرب – سبحانه وتعالى – لا يحصي أحد الثناء عليه، كما كان نبينا عليه الصلاة والسلام يقول: " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " لا أحد يحصي الثناء على الله –

سبحانه وتعالى – ومما يستفاد من هذه القاعدة المتعلقة بدخول [ال] على أسماء الله – تبارك وتعالى – وأن هذا يفيد الإستغراق مما يستفاد من هذه القاعدة :

أن كل اسم من أسماء الله – تبارك وتعالى – دال على صفة وهذا باب من الفقه في أسماء الله، يجب أن يفهم أن كل اسم من أسماء الله – تبارك وتعالى – دال على صفة، وثمة دلائل كثيرة جدا على هذا الأصل لابد من ذكرها :

الأول: أن الله – سبحانه وتعالى – نعت أسماءه في غير موضع من القرآن بأنها حسنى قال: ﴿وَلِلَّهِ الأسماء الحُسنى﴾ [الأعراف: ١٨٠] ومعنى وصفها بأنها حسنى أي أنها دالة على ثبوت صفات كمال لله – سبحانه وتعالى – ،

ثانيا : أن الله – سبحانه وتعالى – أثبت لنفسه المحامد وحمد نفسه – جل وعلا – على أسمائه – جل وعلا – وصفاته وحمده – تبارك وتعالى – لنفسه على أسمائه هو باعتبار ثبوتها له – جل وعلا – على الوجه اللائق به وباعتبار أيضا دلالتها على المعاني والأوصاف

ثالثا : أن الله – سبحانه وتعالى – أثبت لنفسه المثل الأعلى قال: ﴿ وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعلى ﴾ [النحل: ٦٠] والمثل الأعلى هو الوصف الأكمل فله – تبارك وتعالى – في كل اسم من أسمائه – جل وعلا – أكمل وصف

رابعا: أن الله – سبحانه وتعالى – أثبت لنفسه في القرآن في مواضع عديدة صفات لأسمائه التي أثبتها ، فمثلا من أسمائه – جل وعلا – القوي وقال في القرآن:

﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] أثبت القوة ،

من أسمائه العليم ، وأثبت لنفسه – جل وعلا – العلم ﴿ وَلا يُحيطونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

ومن أسمائه الرحيم وأثبت لنفسه الرحمة { وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَة } وهكذا .. وأيضا النبي صلى الله عليه وسلم أثبت لله – سبحانه وتعالى – الصفات التي تقتضيها أسماؤه مثل قوله عليه الصلاة والسلام : " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق " ، ومثل قوله عليه الصلاة والسلام : " لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره " أثبت البصر، بصير ببصر

فإذن الله – سبحانه وتعالى – له الأسماء الحسنى وكل اسم من أسمائه – تبارك وتعالى – دال على ثبوت صفة كمال لله – سبحانه وتعالى – يجب أن تثبت له على الوجه اللائق به وبجلاله وكماله وعظمته ومن لا يثبت صفات الله التي دلت عليها أسماؤه لم يكن محققا الإيمان بأسماء الله لأن الإيمان بأسماء الله له أركان أن تثبت الإسم وأن تثبت الصفة التي دل عليها الإسم وأن تثبت الحكم فهذه ثلاث أمور تثبت فمن لم يكن مثبتا للصفات التي دلت عليها أسماء الله – تبارك وتعالى – لم يكن محققا الإيمان بأسمائه – جل وعلا – .

قال – رحمه الله تعالى – : ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَعاوَنوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوى وَلا تَعاوَنوا عَلَى الإِثمِ وَالعُدوانِ ﴾ [المائدة: ٢]

فالبر يشمل جميع أنواع البر والخير ، وتشمل التقوى جميع ما يجب اتقاؤه من أنواع المعاصي والمحرمات ، والإثم اسم جامع لكل ما يؤثم ويوقع في المعصية ، كما أن العدوان اسم جامع يدخل فيه التعدي على الناس في الدماء، والأموال، والأعراض.

والمعروف في القرآن: اسم جامع لكل ما عُرف حسنه شرعًا وعقلاً. وعكسه المنكر.

وقد نبَّه النبي صلّى الله عليه وسلّم أمته إلى هذه القاعدة، وأرشدهم إلى اعتبارها في قوله في التشهد في الصلاة في قول المصلِّين: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فقال: «فإنكم إذا قلتم ذلك سلَّمتم على كل عبد صالح من أهل السماء والأرض» ، وأمثلتها في القرآن كثيرة جداً.

ثم ذكر – رحمه الله تعالى – هذا المثال التوضيحي للقاعدة وهو دخول ال التعريف على البر والتقوى والإثم والعدوان وأن دخولها على هذه الأسماء يفيد الإستغراق والشمول، وأن البر يشمل جميع أنواع البر والخير ، وأن التقوى تشمل جميع ما يُتقى من المعاصي والآثام ، وأن الإثم اسم جامع لكل ما يأثم ويوقع في المعصية ،وأن العدوان اسم جامع يدخل فيه التعدي على الناس في الدماء والأموال والأعراض، فإذن معرفتنا بمعنى ال الداخلة على البر وعلى التقوى وعلى الإثم وعلى العدوان يحقق لنا تمام المعرفة والفقه لهذه الآية الكريمة وهي قول الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَتَعاوَنوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوى وَلا تَعاوَنوا عَلَى الإِثمِ وَالعُدوانِ ﴾

قال رحمه الله: فالبر يشمل جميع أنواع البر والخير بل البر الدين كله عقيدة وعبادة ، خلقًا وسلوكا الدين كله بر اقرأ ذلك في آية البر في سورة البقرة وهي قوله تعالى :

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فذكر – جل وعلا – هنا عقائد الدين في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وذكر أيضا أعمال الدين وشرائع الإسلام بقوله:

﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ....﴾ إلى أخر الآية ، فدلت هذه الآية وهي تعرف عند أهل العلم بآية البر دلت هذه الآية الكريمة على: شمول كلمة البر ، الدين كله عقيدة وعبادة ، ولهذا العقائد التي هي الإيمان بالله وبالرسل والملائكة والكتب واليوم الآخر هذا من البر ، بل هو أعظم البر وأساسه ، وكذلك طاعات الدين وشرائع الإسلام من صلاة وصيام وحج وصدقة إلى أخر ذلك،،، كل ذلكم بر فإذن البر هذه الكلمة كلمة جامعة تستغرق جميع معاني البر التي تكون في القلوب والتي تكون أيضا على الجوارح ، وإذا ضم إلى البر التقوى كما في هذه الآية الكريمة التي أورد المصنف: ﴿ وَتَعَاوَنوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقوى ﴾

إذا ضم إلى البر التقوى كان البر مختصًا بالطاعات وفعل العبادات والتقوى مختصة بترك النواهي والمحرمات وإذا انفرد كل منهما عن الآخر شمل جميع المعاني وسيأتي عند المصنف قاعدة عظيمة في هذا الباب وهي: أن من الأسماء ما يكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الإسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والإسم المقرون به دال على باقيها ، هذه قاعدة تأتي عند المصنف - رحمه الله تعالى - ويأتي أيضا أمثلة عديدة عليها مثل الإيمان والإسلام والبر والتقوى والفقير والمسكين... وأسماء شرعية كثيرة ينطبق عليها مدلول، ومُفاد هذه القاعدة ويعبر عنها بعض أهل العلم بعبارة أقصر يقولون :

إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت .

فهنا البر والتقوى اجتمعا في الذكر فيفترقا في المعنى يكون معنى البر :فعل الطاعات والعبادات ، ويكون معنى التقوى :ترك المعاصي والمنهيات .

قال : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

الإثم :كل ما يُؤَثم الإنسان فهذا فيه نهي عن كل معصية وقوله : ﴿والْعُدْوَان﴾: نهي عن الاعتداء على الآخرين ،وهذا يتناول أيضا العدوان عليهم بالدماء المعصومة أو الأموال المحترمة أو الأعراض المصونة، كل هذه حرام ((إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)).

قال : **والمعروف في القرآن :اسم جامع لكل ما عُرف حسنه شرعا وعقلا** وعكسه المنكر..﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ ﴾ [النحل: ٩٠]

فالمعروف: اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً ، وعكسه المنكر أي:كل ما عُرف قبحه شرعا وعقلا ، والشيخ - رحمه الله - له فصل نافع ومفيد جدا في آخر كتابه :" **الرياض النّضرة** " في الفصل الأربعين عقد فصلا في

شرح ألفاظ جامعة وردت في الكتاب والسنة، وأتى على ألفاظ كثيرة جداً تمر عليك في القرآن وتمر عليك في السنة وشرحها بعبارات وجيزة مختصرة ،

ثم ختم رحمه الله هذه القاعدة بذكر دليل لها من السنة قال :وقد نبه النبي عليه الصلاة والسلام أمته إلى هذه القاعدة هذا دليل من السنة على هذه القاعدة قال :وأرشدهم إلى اعتبارها في قوله في التشهد في الصلاة في قول المصلين :"السّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"

الصالحين :ال هنا تفيد الإستغراق؛ لأنها دخلت هنا على الأوصاف ،مر معنا

﴿إِنَّ المُسلِمينَ وَالمُسلِماتِ وَالمُؤمِنينَ وَالمُؤمِناتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فقال:**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،** فقال : " إنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح من أهل السماء والأرض »من أين لنا أن من قال :السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين صار مُسَلِّما على كل عبد صالح من أهل السماء والأرض ؟

- لأن ال تفيد الإستغراق فتشمل كل عبد صالح من أهل السماء والأرض ، كان الصحابة قبل ذلك يسلمون بقولهم :السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان ..مما يطول،فأتاهم النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الجملة : " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين " وبيّن عليه الصلاة والسلام أنها تفيد الإستغراق، تشمل كل عبد صالح من أهل السماء والأرض .

مثل هذا ما جاء في الطبراني وغيره وجود إسناده بعض أهل العلم من حديث أنس أن النبي عليه الصلاة السلام قال :«من استغفر للمسلمين والمسلمات كان له بكل واحد منهم حسنة »

يعني: من قال : اللّهم اغفر للمسلمين والمسلمات كان له بكل مسلم من زمن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها له بكل واحدة من هؤلاء حسنة لأنك قولك :اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات هذا يفيد الإستغراق يشمل كل مسلم مما خطر ببالك ومما لم يخطر بأعداد لا يحصيها إلا رب العالمين ليست بالآلاف ولا بالملايين ، أعداد لا يحصيها إلا الله – سبحانه وتعالى –

فأنت تقول كلمة لا تتجاوز سطرا واحدا لكنها تتناول هؤلاء كلهم .

ولهذا نقول من نعمة الله علينا في الذكر وجود مثل هذه الأحرف التي تفيد الإستغراق وتريحنا في باب الذكر من جمل طويلة ونكسب أجور عظيمة في جملة واحدة، فبدل أن نقول: اللهم أغفر لزيد وعبيد وفلان وعلان إلى آخره، نقول: اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات،

فيتناول لفظنا هذا واستغفارنا كل مسلم مما خطر ببالنا ومما لم يخطر ببالنا هذا من فضل الله - سبحانه وتعالى - علينا بأحرف تأتي في الذكر تجعل الذكر متناولًا بابا عظيما من الأجور لا يحصيه إلا الرب العظيم والخالق الجليل - سبحانه وتعالى - .

فإذن فقه هذا الحرف أو (ال) المعرفة ومعرفة دلالتها :

- من الأمور المفيدة في فهم القرآن،
- من الأمور المفيدة في باب الأذكار والدعاء،
- من الأمور المفيدة في باب فقه أسماء الله - تبارك وتعالى - الحسنى،
- أيضا من الأمور المفيدة في فهم الألفاظ الجامعة الواردة في كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وعلى كل ذلك ورد أمثلة في هذا السياق الذي ذكره الشيخ - رحمه الله تعالى - .

قال رحمه الله: القاعدة الرابعة: إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام؛ دلت على العموم كقوله تعالى: ﴿وَاعبُدُوا اللهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا ﴾[النساء: ٣٦]

فإنه نهى عن الشرك به في النيات، والأقوال، والأفعال، وعن الشرك الأكبر والأصغر، والخفي والجلي فلا يجعل العبد لله ندًا ومشاركًا في شيء من ذلك ونظيرها: ﴿ فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ أَندادًا ﴾[البقرة: ٢٢]

ثم ذكر - رحمه الله تعالى - **القاعدة الرابعة** :

قال: **إذا وقعت النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم** ،

قوله : إذا وقعت النكرة :النكرة: هي الإسم الموضوع فرد غير معين، مثل رجل هذه نكرة مثل بيت، دابة، نكرة وضد النكرة المعرفة والتعريف يكون بأمور منها دخول ال التعريف ومنها الإضافة، وهذا سيأتي عند المصنف - رحمه الله - في قاعدة آتية **فالشاهد أن** النكرة إذا وقعت في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام دلت على العموم، وأخذ يمثل على كل واحدٍ من هذه السياقات الأربعة سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام :

أولا **النفي**: هو الأخبار عن ترك الفعل، إذا دخل النفي على الجملة وجاء في السياق نكرة أفادت النكرة العموم مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعبُدُوا اللهَ وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا ﴾ [النساء: ٣٦] ، قوله: ﴿وَلا تُشرِكوا ﴾ هذا نهي، والنهي: هو

طلب الكف عن الفعل ..فهنا قال : ﴿وَلا تُشرِكوا﴾ نهى وجاءت (شيئا) نكرة في هذا السياق فأفادت العموم ومعنى ذلك أن قوله: ﴿وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا﴾

أي: أي شيء كان لا نبي مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الأولياء ولا غير هؤلاء؛ لأن شيئا جاءت نكرة في سياق النهي عن الشرك فأفادت العموم، وأنه لا يحل لأحد أن يجعل مع الله شريكا أيـًا كان هذه الشريك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي من الأولياء كل واحد من هؤلاء لا يستحق أن يكون شريكا مع الله - تبارك وتعالى - في العبادة ولهذا قال: ﴿وَاعبُدُوا اللهَ﴾ أي: أخلصوا لله العبادة وأفردوه بالتوحيد ﴿وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا﴾أي: أيَّ شيءٍ كان؛

قال: فإنَّه نهى عن الشرك به في النيات والأقوال والأفعال، وعن الشرك الأكبر والأصغر، والخفي والجلي فلا يجعل العبد لله ندًا ومشاركًا في شيءٍ من ذلك؛ لا شركا أكبر ولا أصغر ولا في النية، ولا في الفعل، ولا في القول كل ذلك يتناوله قوله سبحانه: ﴿وَلا تُشرِكوا بِهِ شَيئًا﴾ أي: أيَّ شيءٍ كان.

قال: ونظيرها ﴿فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ أَندادًا﴾ [البقرة: ٢٢] نكرة في سياق النهي فهي تفيد العموم، والمعنى: لا تجعلوا مع الله ندًا أيًا كان هذا الند؛ لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا غير هؤلاء فالعبادة حقٌّ لله - سبحانه وتعالى - لا يجوز أن يُجعل معه فيها شريكٌ ولا نديد.

وقوله في وصف يوم القيامة: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ [الانفطار: ١٩] يعم كل نفس، وأنَّه لا تملك شيئًا من الأشياء لا إيصال المنافع، ولا دفع المضار.

ثمَّ ذكر هذا المثال وهو يتعلق بالنفي، وعرفنا أن النفي هو الإخبار عن ترك الفعل؛ والنَّكرة إذا جاءت في سياق النفي أفادت العموم، والمثال الذي ذكره رحمه الله هو قوله تعالى: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ جاء فيه ثلاث نكرات في هذا السياق :-

- النكرة الأولى قوله: ﴿نَفْسٌ﴾
- والثانية: ﴿لِّنَفْسٍ﴾
- والثالثة: ﴿شَيْئًا﴾

وجميع هذه النَّكرات جاءت في سياق النفي فتفيد العموم، والمعنى: لا تملك نفس مهما عظُمت ومهما جلَّ قدرها، ومهما ارتفعت مكانتها؛ لنفس مهما بلغت في الرحمة لها والعطف عليها والشفقة وإرادة الإحسان لها؛ شيئًا أي: أيَّ شيء كان ولا قدرًا يسيرًا لماذا؟ قال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: ((يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا))

وإذا قال قائل فما شأن الشفاعة إذًا؟

- الشفاعة لا يملكها الشافع وإنَّما يملكها الربُّ - سبحانه وتعالى - : ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] فهي ملكٌ لله، ولهذا لا يمكن لأحدٍ كائنًا من كان أن يشفع عند الله - سبحانه وتعالى - إلا إذا أذن الله له بالشفاعة: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وأيضًا لا يشفع أحد عند الله إلا لمن رضي الله قوله وعمله، ولهذا قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

والله - سبحانه وتعالى - لا يرضى إلا عن أهل التوحيد، ولهذا هذه أمور ثلاثة في الشفاعة لابد من فقهها:

الأول: لا أحد يشفع عند الله إلا بإذن الله.

والثاني: لا يُشفع لأحدٍ إلا إذا رضي الله قوله وعمله.

والثالث: لا يرضى الله - سبحانه وتعالى - إلا عن أهل التوحيد،

ولهذا لما قال أبو هريرة للنبي عليه الصلاة والسلام: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال: ((من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه))، وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: ((لكل نبي دعوةٌ مستجابة وإني ادخرت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة وإنَّها نائلةٌ إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا)).

فلاحظ أولًا قال: ((إنَّها نائلة إن شاء الله))؛ لأنَّ الأمر بإذنه،

((من لا يشرك بالله شيئًا)) هذا قيدٌ آخر وهو أنَّها لا تنال إلا من رضي الله - سبحانه وتعالى - قوله وعمله والله لا يرضى عمن أشرك.

فقوله سبحانه: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا} هذه آية تفهمك التوحيد والإخلاص لله وتعلق القلب بالله - سبحانه وتعالى - ، وأن يكون طلبك وفزعك والتجاءك إلى الله؛ إذا أردت النجاة فاطلبها من الله، إذا أردت الجنَّة اطلبها من الله إذا أردت السعادة في الدنيا والآخرة اطلب ذلك من الله فالله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]

إذن القلب لا يكون متعلقا ولا متوكلا ولا ملتجئا إلا إلى الله – سبحانه وتعالى –

" لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك"

و قال في القرآن: ﴿فَفِرّوا إِلَى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]

فهذا مما يُفَهم التوحيد ويبيّن وجوب الإخلاص والالتجاء إلى الله – سبحانه وتعالى – وفي ضوء هذا المعنى قال النبي عليه الصلاة والسلام لفاطمة بنته : ((يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا))

والله – سبحانه وتعالى – قال له في القرآن الكريم :

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَو يَتوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُم﴾ [آل عمران: ١٢٨]

كان عليه الصلاة والسلام مدّ يديه ودعا على بعض عتاولة المشركين بأسمائهم طلبا من الله أن يلعنهم قال: ((اللهم العن فلان والعن فلان والعن فلان ....)) بأسمائهم من شدة أذاهم وتسلطهم على المسلمين فأنزل الله قوله :

﴿لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَو يَتوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُم﴾ وتاب الله عليهم .

أولئك الذين لعنهم عليه الصلاة والسلام وطلب من الله أن يبعدهم من رحمته تاب الله عليهم، واقرؤا ذلك في تفسير هذه الآية، فالأمر ليس له عليه الصلاة والسلام الهداية بيد الله والفلاح بيد الله – سبحانه وتعالى – .

في الجانب الآخر.. نقرأ قصته عليه الصلاة والسلام مع عمّه أبي طالب لما حضرته الوفاة : " يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله " وعنده أبو جهل وبعض المشركين يقولون : بل على ملة عبد المطلب ومات وهو يقول :هو على ملة عبد المطلب ، فالأمر بيد الله – سبحانه وتعالى –

﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا وَالأَمرُ يَومَئِذٍ لِلَّهِ﴾

فمن يقرأ هذه الآية ويفهمها ويفهم هذه النكرات التي جاءت في سياق هذا النفي **يفهم التوحيد** وأن القلب يجب أن يكون معلقا بالله، أن يكون القلب متوكلا على الله ملتجئا إلى الله ، طالبا النجاة من الله – سبحانه وتعالى – لا يلجأ إلا إليه

﴿وَتَوَكَّل عَلَى الحَيِّ الَّذي لا يَموتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]

قال :قوله في وصف يوم القيامة: ﴿يَومَ لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾

يعم كل نفس وأنها لا تملك شيئا من الأشياء :يعم كل نفس لكل نفس يعم كل نفس الأولى وأيضا يعم لكل نفس التي هي الثانية ويعم أيضا شيئا أي :أيّ شيء من الأشياء ولو كان أمرا قليلا أو شيئا يسيرا لا إيصال المنافع ولا دفع المضار .

وكقوله تعالى:﴿وَإِن يَمسَسكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ﴾ [يونس : ١٠٧] فكل ضر قدّره الله على العبد ليس في استطاعت أحدا من الخلق كشفه بوجه من الوجوه ونهاية ما يقدر عليه المخلوق من الأسباب والأدوية جزء من أجزاء كثيرة داخلة في قضائه وقدره .

وقوله :﴿ما يَفتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَها وَما يُمسِك فَلا مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ﴾ [فاطر: ٢]

وقوله : ﴿وَما بِكُم مِن نِعمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣]

يشمل كل خير في العبد ويصيب العبد وكل نعمة فيها حصول محبوب أو دفع مكروه فإن الله هو المتفرد بذلك .

ثم ذكر هذه الأمثلة وهي تتعلق بالشرط، والشرط هو تعليق حصول مضمون جملة على حصول مضمون جملة أخرى ، مثاله :

﴿وَإِن يَمسَسكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ﴾

والقاعدة هنا أنّ النكرة إذا جاءت في سياق الشرط أفادت العموم وهنا قوله ﴿بِضُرٍّ﴾هذه نكرة جاءت في سياق الشرط قال :﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ وأيضا قوله: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ﴾ فهذه نكرة جاءت في هذا السياق سياق الشرط فتفيد العموم و لهذا قال الشيخ : " فكل ضر قدره الله على العبد ليس في استطاعة أحد من الخلق كشفه"

إذن قوله : ﴿وَإِن يَمسَسكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: ١٧]هذه نكرة في سياق الشرط تفيد العموم ، تشمل الضر في المال ،الضر في الصحة الضر في البدن الضر في التجارة، الضر إلى آخره...لأنها نكرة في سياق شرط تفيد العموم ، فأي ضر كتبه الله عليك لا يمكن أحد أن يكشفه

و قوله " فلا كاشف" كاشف نكرة في سياق ماذا ؟ النفي فتفيد العموم

فلا كاشف : أي أيُ أحد كان

﴿ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]

خير : نكرة في سياق الشرط تفيد العموم، إن أراد الله لك خيرا في مالك في دينك في صحتك في تجارتك في أي أمر لا يملك أحد أن يرده

و قوله : ﴿فَلا رادَّ﴾ " راد " نكرة في سياق النفي تفيد العموم :أي لا يستطيع أحد أن يرده مهما كان و مهما بلغ من القوة و مهما أوتي من القدرة ما يستطيع أن يرد خير ساقه الله لك

فإذن فهم هذه النكرات في مثل هذا السياق: يقوي فيك التوحيد و التوكل على الله -سبحانه و تعالى- و حسن الإلتجاء إليه؛

فرق بين من يقرأ هذه الآية و هو لا يفهم هذه المعاني التي تدل عليها و بين من يقرأها و هو يفهم ما تدل عليه ﴿وَإِن يَمسَسكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي ضر كان في مالك في صحتك في تجارتك في بدنك ﴿فَلا كاشِفَ لَهُ﴾ أي مهما أراد أحد أن يكشف هذا الضر لا يستطيع؛ لأن الأمر لله سبحانه و تعالى ((و اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك و أن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك))

و أيضا المثال الآخر هو أيضا مثال لمجيء النكرة في سياق الشرط قال :

﴿ما يَفتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]

رحمة هنا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم و لهذا قال يشمل كل خير في العبد ويصيب العبد وكل نعمة فيها حصول محبوب أو دفع مكروه فإن الله هو المتفرد بذلك ؛﴿ما يَفتَحِ اللَّهُ لِلنّاسِ مِن رَحمَةٍ فَلا مُمسِكَ لَها﴾ .

و قوله : ﴿ هَل مِن خالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ وَالأَرضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ ﴾ [فاطر: ٣] و إذا دخلت مِن صارت نصا في العموم فهذه الآية : ﴿فَما مِنكُم مِن أَحَدٍ عَنهُ حاجِزينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] ﴿ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥] ولها أمثلة كثيرة جدا .

ثم ختم رحمه الله بذكر مثال للاستفهام: يعني مجيء النكرة في سياق الاستفهام و الاستفهام هو الاستخبار ، فمثل بمثال واحد و هو قوله :﴿ هَل مِن خالِقٍ ﴾ و الاستفهام هنا إنكاري ، قال:﴿ هَل مِن خالِقٍ ﴾

خالق: نكرة جاءت في سياق الاستفهام فتفيد العموم ،

﴿ هَل مِن خالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرزُقُكُم ﴾ فتفيد العموم

و مثلها أيضا قوله سبحانه و تعالى: ﴿ هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]

" سميا" نكرة في سياق الاستفهام فتفيد العموم ،

أيضا قوله : ﴿هَل تُحِسُّ مِنهُم مِن أَحَدٍ أَو تَسمَعُ لَهُم رِكزًا﴾ [مريم: ٩٨]

" أحدٍ " و " ركزا ": نكرة في سياق الاستفهام فتفيد العموم .: ﴿ هَل تُحِسُّ مِنهُم مِن أَحَدٍ﴾ أي أحد من هؤلاء هل له وجود ؟ هل تحس بأحد من هؤلاء ؟

فهذا يفيد العموم

إذن النكرة إذا جاءت في سياق الاستفهام أفادت العموم .

قال : وإذا دخلت "مِن" صارت نصا في العموم ،كهذه الآية ﴿فَما مِنكُم مِن أَحَدٍ عَنهُ حاجِزينَ﴾ و أيضا قوله: ﴿ ما لَكُم مِن إِلٰهٍ غَيرُهُ﴾. أي: ليس أحد يستطيع أن يحجز عقوبة من الله – سبحانه وتعالى – أو منع أمر أراده الله – سبحانه وتعالى – عنه وكذلك قوله : ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُه﴾ أي غير الله – سبحانه وتعالى – وكل إله يدعى فهو باطل ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ ما يَدعونَ مِن دونِهِ هُوَ الباطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبيرُ﴾ [الحج: ٦٢] قال : **ولها أمثله كثيرة جدا .**

قال – رحمه الله تعالى – : القاعدة الخامسة: المقرر أن المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع:

فكما أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهاتُكُم...﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخرها

يشمل كل أم انتسبت إليها، وإن علت. وكل بنت انتسبت إليك وإن نزلت– إلى آخر المذكورات–

فكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾ [الضحى: ١١] فإنها تشمل النعم الدينية والدنيوية .

ثم قال – رحمه الله تعالى – **القاعدة الخامسة**: المفرد المضاف يفيد العموم ،

المفرد إذا أضيف أفاد العموم ، وقوله كما يفيد ذلك إسم الجمع هذا تنظير له؛ لأن إسم الجمع سواء عرف بالإضافة كما في المثال الذي ذكره الشيخ أو عرف ب(ال) كما في القاعدة السابقة: فإنه يفيد العموم سواء عرف بالإضافة : ﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهاتُكُم﴾ " أمهات " جمع أضيف فيفيد العموم أو عرف بال مثل: ﴿إِنَّ المُسلِمينَ وَالمُسلِماتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] هذا يفيد العموم فإذن المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك إسم الجمع وللتوضيح أقول المثال الذي ذكره في الآية : ﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهاتُكُم﴾ لو قيل لشخص: " حرمت عليك أمك "

أمك : هنا مفرد مضاف يفيد في دلالته مثل إفادة الجمع المضاف

فقولك لشخص: " حرمت عليك أمك " هو في دلالته كقوله – تبارك وتعالى – : ﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهاتُكُم﴾ لأن المفرد إذا أضيف أفاد العموم فقول القائل : "حرمت عليك أمك " يفيد العموم: أي : أي أمٌ لك سواء التي ولدتك أو أمك لأبيك وإن علت أو أمك لأمك وإن علت يتناوله هذا المفرد المضاف ،

فإذن المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك إسم الجمع

يمثل الشيخ لذلك فيقول : فكما أن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَت عَلَيكُم أُمَّهاتُكُم وَبَناتُكُم وَأَخَواتُكُم وَعَمّاتُكُم وَخالاتُكُم﴾ كما أن هذه تفيد العموم (كل أمٌ لك وكل بنت لك وكل أخت لك وكل عمة لك وكل خالة لك) كما أنه يفيد العموم فكذلك قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَأَمّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث﴾ أيضا يفيد العموم ، قوله: ﴿أُمَّهاتُكُم﴾ يقول الشيخ هذا يشمل كل أم انتسبت إليها وإن علت يعني الأم التي ولدت الإنسان وأمها وأم أبيك وإن علو كلهم يشملهم هذا التحريم أيضا قوله : ﴿وَبَناتُكُم﴾ يشمل بنت الإنسان وبنت البنت وبنت الإبن وإن نزلو فكما أن هذه الصيغة تفيد العموم

أيضا قوله – سبحانه وتعالى – : ﴿وَأَمّا بِنِعمَةِ رَبِّكَ﴾ [الضحى: ١١]

نعمة : مفرد مضاف يفيد العموم ، أي : كل نعمة أنعم الله بها عليك في الدين والدنيا.

أيضا قوله : ﴿يَعرِفونَ نِعمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرونَها﴾[النحل: ٨٣] نعمة مفرد مضاف يفيد العموم ،

أيضا قولك في دعاء في سيد الإستغفار تقول:((أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي)) نعمة :مفرد مضاف يفيد العموم

فقولك: ((أبوء لك))أي أعترف لك يا الله بنعمتك علي ، نعمة : هنا مفرد فيشمل كل نعمة أنعم الله – سبحانه وتعالى – بها عليك؛ لأن القاعدة تقول: **المفرد إذا أضيف أفاد العموم**، أيضا قولك : ((أبوء بذنبي)) ما المراد بالذنب هنا ذنب معين أو كل ذنب ؟ كل ذنب؛ لأن القاعدة تقول:**المفرد إذا أضيف أفاد العموم** فقولك: ((أبوء بذنبي))معناها أبوء لك بذنوبي لأن المفرد إذا أضيف أفاد العموم ثم ذكر مثالا آخر .

﴿قُل إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيايَ وَمَماتي لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ﴾[الأنعام: ١٦٢] فإنها تعم الصلوات كلها والأنساك كلها وجميع ما العبد فيه وعليه في حياته ومماته الجميع قد أوقعته وأخلصته لله وحده لا شريك له.

ثـم ذكـر هـذا المثـال وهـو مـن الأمثـلـة التي تشـرح التوحيـد وتبين الإخـلاص لله - تبـارك وتعـالى - قـال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]

صلاة: هنا مفرد لم يقل :صلواتي وإنما قال :" صلاتي " مفرد مفرد مضاف يفيد العموم فقولك:"إن صلاتي"أي كل صلاة أديتها من فريضة أو نافلة لك يا الله ، من أين لنا هذا العموم ؟ من هذه القاعدة وهي :**أن المفرد المضاف يفيد العموم**

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي﴾ معنى ذلك كل صلاة أديتها فرضا كانت أو نفلا لك يا الله لا شريك لك ﴿ وَنُسُكِي ﴾ أيضا نسك مفرد مضاف فيشمل جميع الأنساك التي يقوم بها العبد فرضها ونفلها ﴿ وَمَحيايَ وَمَماتي ﴾ أيضا المحيا والممات أيضا مفرد مضاف فكل ذلك يفيد العموم .

وقوله : ﴿وَاتَّخِذوا مِن مَقامِ إِبراهيمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] على أحد القولين :

أنه يشمل جميع مقاماته في مشاعر الحج

اتخذوه معبدا

ثم ذكر هذا المثال قال وقوله تعالى:﴿وَاتَّخِذوا مِن مَقامِ إِبراهيمَ﴾[البقرة: ١٢٥]

مقام : مفرد مضاف إلى إبراهيم عليه السلام

و يقول الشيخ هنا :هذا المفرد المضاف يفيد العموم على أحد القولين في معنى الآية ؛ لأن للمفسرين في هذه الآية قولين:

القول الأول : أن المراد بالمقام المقام المعروف الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عندما بنى البيت وهو الذي حول الكعبة يعرفه الناس

وقيل المراد بالمقام : الحج كله ، كل مقام قام إبراهيم في الحج والأنساك التي قام بها فقول : ﴿ وَاتَّخِذوا مِن مَقامِ إِبراهيمَ مُصَلًّى ﴾[البقرة: ١٢٥] أي: أدوا المناسك كما أداها، ولهذا يروى عن ابن عباس وغيره في معنى الآية قال:مقام إبراهيم الحج كله ويروى عنه أنه قال: مقام إبراهيم الحرم كله

فإذن على قول للمفسرين في معنى مقام إبراهيم تنطبق هذه القاعدة وهي : **أن المقام مفرد أضيف فأفاد العموم كل مقام قامه إبراهيم**

وأصلح من هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا﴾
[النحل: ١٢٣] وهذا شامل لكل ما هو عليه من التوحيد والإخلاص لله تعالى والقيام بحق العبودية .

ثم ذكر هذا المثال: ﴿ثُمَّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتَّبِع مِلَّةَ إِبراهيمَ﴾ [النحل: ١٢٣]

" ملة " مفرد مضاف إلى إبراهيم فيفيد كل ما كان عليه إبراهيم الخليل من التوحيد والإخلاص والقيام بحقوق الله – تبارك وتعالى – وإفراده – سبحانه وتعالى – وحده بالذل والخضوع ....كل ذلكم مستفاد من قوله : ﴿مِلَّةَ إِبراهيمَ﴾ ؛

لأن ملة مضاف فأفاده العموم .

وأعم من ذلك وأشمل قوله تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقتَدِه﴾ [الأنعام: ٩٠] فأمره الله أن يقتدي بجميع ما عليه المرسلون من الهدى الذي هو العلوم النافعة والأخلاق الزاكية والأعمال الصالحة والهدي المستقيم وهذه الآية أحد الأدلة على الأصل المعروف أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وشرع الأنبياء السابقين هو هداهم في أصول الدين وفروعه .

ثم ذكر مثالاً أعم مما سبق وأشمل وهو قول الله تعالى لما ذكر الأنبياء قال: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقتَدِه﴾

هدى مفرد مضاف ، مضاف إلى الأنبياء "هداهم" أي: الأنبياء ف(هدى)مفرد مضاف فيفيد العموم

ولهذا قال الشيخ : " فأمره الله أن يقتدي بجميع ما عليه المرسلون من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الزاكية والصراط المستقيم " استفدنا هذا التعميم أو استفدنا من هذا التعميم من قوله هداهم فهدى مفرد مضاف إلى الأنبياء والمطلوب أن نهتدي بهدي الأنبياء بمعنى أن نكون على ما كانوا عليه من العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والطاعات الزاكية..

ولهذا يقول الشيخ أن في هذه الآية دليل لأصل معروف وهو شرع من قبلنا شرع هو لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه

وأيضا من الشواهد عليه قوله عليه الصلاة والسلام : ((نحن الأنبياء أبناء علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى)).

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وهذا يعم جميع ما شرعه لعباده فعلًا وتركا واعتقادا وإنقيادا وأضافه إلى نفسه في هذه الآية لكونه الذي نصبه لعباده كما أضافه إلى الذين أنعم عليهم في قوله::

﴿صِراطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾[الفاتحة : ٧] لكونهم هم السالكون له فصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ما اتصفوا به من العلوم الأخلاق والأوصاف والأعمال .

ثم ذكر – رحمه الله تعالى – هذا المثال وهو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هذا صِراطي مُستَقيمًا فَاتَّبِعوهُ﴾

" صراطي " مفرد مضاف إلى الله –سبحانه تعالى – وأضافه – سبحانه وتعالى – لنفسه؛ لأنه هو الذي نصبه لعباده ، هو – جل وعلا – هو الذي نصب هذا الصراط لعباده فأضافه لنفسه لكونه نصبه لهم،

وأضافه لعباده في الآية الأخرى : ﴿صِراطَ الَّذينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ ؛ لأنهم هم الذين سلكوه فإضافته – تبارك وتعالى – الصراط لنفسه بإعتبار أنه هو الذي نصبه لعباده وإضافته – جل وعلا – هذا الصراط للعباد باعتبار أنهم هم الذين سلكوه.

والصراط في الموضعين في الموضع الأول: الذي هو إضافته إلى الله

والموضع الثاني: الذي هو إضافته إلى العباد

مفرد مضاف فيفيد كلما أمر الله – سبحانه وتعالى – عباده بسلوكه وكل ما نصبه لهم من الشرائع والأعمال والطاعات التي تقربهم إلى الله – سبحانه وتعالى – كل ذلكم يشمله الصراط المستقيم .

وكذلك قوله: ﴿وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] يدخل في ذلك جميع العبادات الظاهرة والباطنة العبادات النقدية والعملية.

_ثم ذكر هذا المثال قال: ﴿وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

عبادة : مفرد مضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – فيفيد العموم ولهذا قال الشيخ: يدخل في ذلك جميع العبادات ؛

لأن عبادة: مفرد مضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – فيفيد جميع العبادات فمعنى قوله :﴿وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ﴾ [الكهف١١٠] أي عبادات يشمل كل العبادات القولية والفعلية والقلبية ،لا نجعل مع الله سبحانه وتعالى شريكا فيها .

ولهذا للتوضيح لو قال قائل :" لا يشرك بعبادة ربه إذا قال قائل وهو لا يفهم هذه القاعدة: ﴿وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ لقال ما هي العبادة المقصودة هنا؟؛ لأن هنا ذُكر عبادة واحدة -عبادة ربه- فقال ما هي العبادة المقصودة هنا ؟

فتقول له في ضوء هذه القاعدة عبادة :**مفرد مضاف يفيد العموم** فيشمل صلاتك و صيامك ودعاؤك وذبحك إلى آخره ..كل ذلك داخل تحت قوله:"عبادة ربه"

كما أن وصف الله لرسوله صلى الله عليه و سلم بالعبودية المضافة إلى الله :﴿سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وَإِن كُنتُم في رَيبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلى عَبدِنا﴾ [البقرة: ٢٣] ، ﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ﴾ [الفرقان: ١] ،يدل على أنه وفى جميع مقامات العبودية حيث نال أشرف المقامات بتوفيته جميع مقامات العبوديات.

_ثمّ ذكر هذا المثال ووصف الله لرسوله صلى الله عليه و سلم بالعبودية المضافة إلى الله وذكر على ذلك أمثلة ﴿سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ﴾[الإسراء: ١] عبد: مفرد مضاف " ﴿وَإِن كُنتُم في رَيبٍ مِمّا نَزَّلنا عَلى عَبدِنا﴾ [البقرة: ٢٣]-عبدنا- مفرد مضاف "﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبدِهِ﴾ [الفرقان: ١]

-عبده-: مفرد مضاف وهذا المفرد المضاف في جميع هذه الأمثلة الثلاثة يفيد العموم وهو يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وفى جميع مقامات العبودية من أين لنا أنه عليه الصلاة والسلام وفى جميع مقامات العبودية من السياق؛ لأن عبد: مفرد مضاف يفيد العموم: أي يفيد على أنه عليه الصلاة والسلام وفى جميع مقامات العبودية وأتى بها على أتم حال وأشرف مقام .

وقوله :﴿أَلَيسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فكلما كان العبد أقوم بحقوق العبودية كانت كفاية الله له أكمل وأتم ، وما نقص منها نقص من الكفاية بحسبه.

_أيضا قوله : ﴿أَلَيسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]-عبده-مفرد مضاف يفيد العموم والآية فيها عبودية وفيها كفاية ، العبودية من العبد الكفاية من الله، والكفاية بحسب حظ العبد من العبودية لأنه قال :﴿أَلَيسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فحظ العبد من الكفاية بحسب حظه من العبادة بمعنى أن العبادة كلما زادت زاد حظه ونصيبه من الكفاية.

وقوله :﴿وَما أَمرُنا إِلّا واحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]

وقوله:﴿إِنَّما قَولُنا لِشَيءٍ إِذا أَرَدناهُ أَن نَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ﴾ [النحل: ٤٠] ،

يشمل جميع أوامره القدرية الكونية وهذا في القرآن شيء كثير

_ثم ختم بهذين المثالين:

الأول : قوله:﴿وَما أَمرُنا إِلّا واحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]

أمر : مضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – فيفيد العموم

وأيضا إنما قولنا–قول–مفرد مضاف إلى الله – سبحانه وتعالى – يفيد العموم

ولهذا قال : يشمل جميع أوامره القدرية الكونية

ويشير هنا إلى أن أوامر الله نوعان :

- كونية قدرية
- وشرعية دينية

وهذا الأمر الذي ذُكر هنا هو أمر كونيٌّ قدريٌّ لدلالة السياق على ذلك والشاهد من الآيتين للترجمة أن : الأمر والقول في الآيتين مفرد مضاف فأفاد العموم،

قال: وهذا في القرآن شيء كثير،ونلاحظ أن الشيخ في تمام كل قاعدة ينبّه إلى أن في القرآن شيء كثير من ذلك وهذا فيه تنبيه لطالب العلم أنه عليه أن يضبط القاعدة ببعض أمثلتها ثم بعد ذلك يسهل عليه التطبيق ولهذا قال في المقدمة كما قرأنا قال:' لأنه إذا انفتح للعبد الباب وتمهدت عنده قاعدة وتدرب منها بعدة أمثلة توضحها وتبين طريقها ومنهجها لم يحتج إلى زيادة بسط وكثرة التفصيل .

ونكتفي بهذا والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.